Comprehensive Journal of Humanities and Educational Studies
المجلة الشاملة للدراسات الإنسانية التربوية
Volume 2, Issue 1, 2026, Pages: 239-254
Journal homepage :http://cjhes.com.ly/index.php/cjhes/en/index

The Problem of Consciousness between Philosophical Perspective and Natural Sciences: A Comparative Analytical Study

Ahseen Miftah Albasheer *
Department of Philosophy, Faculty of Arts, Bani Waleed University, Libya

إشكالية الوعي بين المنظور الفلسفي والعلوم الطبيعية: دراسة تحليلية مقارنة

أحسين مفتاح البشير *
قسم الفلسفة، كلية الآداب، جامعة بني وليد، ليبيا

*Corresponding author: ywsfjmaly725@@gmail.com

Received: November 06, 2025	Accepted: January 01, 2026	Published: January 24, 2026

Abstract:
This research paper explores the multifaceted nature of human consciousness, transitioning from traditional philosophical inquiries to contemporary scientific analyses. The study addresses the fundamental problem of how physical systems, such as the human brain, generate subjective self-awareness and internal experience. Employing a comparative analytical and critical methodology, the research is structured into three primary sections. The first section provides a conceptual and historical overview of consciousness, tracing its definitions across various disciplines including psychology, sociology, and philosophy. It distinguishes between "easy problems"—related to cognitive functions and behavioral control—and the "hard problem" of consciousness, which concerns the origins of qualitative subjective experience. The second section examines the enduring debate between dualism and materialism, contrasting the Cartesian view of a non-material mind with materialistic perspectives that reduce consciousness to neural processes. The final section investigates the intersection of consciousness with modern physics and biology, specifically exploring quantum theories of mind and neurobiological mechanisms. The paper concludes that while a unified definition remains elusive, consciousness is an ontological subjective reality characterized by its internal, qualitative, and individual nature. Ultimately, the study emphasizes that any comprehensive theory of consciousness must account for the gap between neural signaling and the profound sense of self-awareness that defines human existence.

Keywords: Consciousness, Hard Problem, Dualism, Materialism, Neurobiology, Subjective Experience, Philosophy of Mind.

الملخص
تستكشف هذه الورقة البحثية الطبيعة المتعددة الأوجه للوعي البشري، منتقلة من الاستفسارات الفلسفية التقليدية إلى التحليلات العلمية المعاصرة. وتتناول الدراسة المشكلة الجوهرية المتمثلة في كيفية قيام الأنظمة المادية، مثل الدماغ البشري، بتوليد وعي ذاتي وتجربة داخلية. وباستخدام منهج تحليلي نقدي مقارن، تم تقسيم البحث إلى ثلاثة فصول رئيسية. يقدم الفصل الأول نظرة مفاهيمية وتاريخية عامة عن الوعي،

 Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

متتبعاً تعريفاته عبر تخصصات متنوعة تشمل علم النفس وعلم الاجتماع والفلسفة. كما يميز بين "المشكلات السهلة" المتعلقة بالوظائف المعرفية والتحكم في السلوك، و"المشكلة الصعبة" للوعي التي تتعلق بأصول التجربة الذاتية الكيفية. ويفحص الفصل الثاني الجدل المستمر بين الثنائية والمادية، مقارناً بين الرؤية الديكارتية للعقل غير المادي والوجهات المادية التي تختزل الوعي في العمليات العصبية. ويستقصي الفصل الأخير تقاطع الوعي مع الفيزياء والبيولوجيا الحديثة، مستكشفاً على وجه الخصوص نظريات الكم للعقل والآليات البيولوجية العصبية. وتخلص الورقة إلى أنه على الرغم من استعصاء الوصول لتعريف موحد، إلا أن الوعي يمثل حقيقة ذاتية أنطولوجية تتميز بطبيعتها الداخلية والكيفية والفردية. وفي الختام، تؤكد الدراسة على أن أي نظرية شاملة للوعي يجب أن تفسر الفجوة بين الإشارات العصبية والحس العميق بالوعي الذاتي الذي يحدد الوجود الإنساني.

الكلمات المفتاحية: الوعي، المشكلة الصعبة، الثنائية، المادية، البيولوجيا العصبية، التجربة الذاتية، فلسفة العقل.

المقدمة:

يُمثل الوعي البشري أحد أكثر الألغاز استعصاءً في تاريخ المعرفة الإنسانية، وهو "التحدي الأخير" الذي يقف عنده العلم والفلسفة على حد سواء. فلعقود طويلة، ظل البحث في طبيعة الوعي حكراً على التأملات الفلسفية والمقاربات الميتافيزيقية، أو حبيساً في أروقة علم النفس التقليدي؛ غير أن الثورة العلمية المعاصرة، وبروز علوم الحاسب، والذكاء الاصطناعي، والعلوم المعرفية(Cognitive Sciences) ، أعادت صياغة المشهد البحثي، ليتحول الوعي من مجرد تساؤل وجودي إلى موضوع دراسة متعدد التخصصات يسعى لتقديم تعريفات دقيقة ومنضبطة لهذه الظاهرة المعقدة.

وعلى الرغم من هذا الزخم البحثي، لا يزال المجتمع العلمي يفتقر إلى تعريف "جامع مانع" يحظى بإجماع كلي؛ إذ انبرى كل حقل معرفي في صياغة مفهوم يتسق مع أدواته المنهجية ومنطلقاته النظرية. فبينما يراه عالم الأعصاب نشاطاً كهربياً كيميائياً، يراه الفيلسوف تجربة ذاتية غير قابلة للاختزال. ومع ذلك، يظل البشر يقفون في حالة من الحيرة والدهشة أمام الكيفية التي يعمل بها العقل الإنساني، وماهية التفاعلات الغامضة التي تربط بين الوعي كحالة غير مادية والجسد ككيان فيزيائي.

إن الحقيقة المركزية الوحيدة التي لا تقبل الشك هي تلك التي عبر عنها الفيلسوف بحدسه العلمي: "أنني واعٍ بذاتٍ ترصد العالم من نقطة مركزية ما داخل جمجمتي". ومن هذا المنطلق العلمي الصرف، تبرز الضرورة الحتمية لأي نظرية تحاول مقاربة الوعي بأن تجيب أولاً على السؤال الجوهري: كيف تتحول تلك الإشارات العصبية المتدفقة عبر مليارات الخلايا إلى إدراك ذاتي حيوي؟ وكيف تنبثق "النوعية " (Qualia)من "الكمية" المادية؟

إن المشهد الفكري المعاصر يزدحم بمدعي حل لغز الوعي؛ حيث تتراوح طروحاتهم بين "النظريات الموحدة العظمى" التي تحاول اختزال الوعي في معادلات فيزيائية، وبين نظريات ميكانيكا الكم التي تبحث عن الوعي في ثنايا الجسيمات دون الذرية، وصولاً إلى المقاربات الروحانية التي تقدس "قوة الوعي" كطاقة كونية مستقلة. بيد أن هذه الطروحات على تنوعها، غالباً ما تتجاهل الفجوة الوجودية بين العالمين المادي والعقلي، وهي الفجوة التي تُجسد المعضلة التاريخية الكبرى المعروفة بمسألة "العقل والجسد (" Mind-Body Problemبلاكمور، 2016).

وفي حين تذهب المدرسة الذاتية في الفلسفة إلى أن الاستشعار الذاتي هو اليقين الوحيد، مشككةً في الوجود الحقيقي للعالم الخارجي، نجد أن هذا الطرح يواجه مأزقاً منطقياً عند محاولة تفسير ثبات القوانين الطبيعية وتفاعل الذوات الأخرى. إن جوهر الإشكالية التي يسعى هذا البحث لسبرها يكمن في التساؤل الآتي: كيف يمكن لنظام مادي بيولوجي يعمل وفق قوانين الفيزياء والكيمياء أن ينتج "ذاتاً" تشعر، وتدرك، وتعاني؟ وبصيغة أخرى: ما هي الآلية التي تسمح للنظام المادي البشري بتوليد ذلك الاستشعار بالوعي الذاتي الذي يمثل جوهر كينونتنا جميعاً؟

 Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

مشكلة البحث

تكمن مشكلة البحث في "الفجوة التفسيرية "بين الوصف الفيزيائي الكيميائي للدماغ وبين الخبرة الذاتية المعاشة، أو ما يسمى بـ)المشكلة الصعبة للوعي(The Hard Problem of Consciousness - ؛ فالسؤال الجوهري الذي يطرح نفسه بقوة هو: كيف يمكن للمادة العمياء، التي تعمل وفق قوانين فيزيائية صلبة، أن تنتج ذاتاً مدركة تمتلك استشعاراً داخلياً وكيفياً بالعالم؟ وكيف تتحول النبضات العصبية الصامتة إلى "تجربة" حية يشعر بها الكائن؟

إن المشهد الفكري المعاصر يزدحم بمدعي حل لغز الوعي؛ حيث تتراوح طروحاتهم بين النظريات الموحدة العظمى، وميكانيكا الكم، وصولاً إلى المقاربات الروحانية. بيد أن هذه الطروحات غالباً ما تتجاهل الفجوة الوجودية بين العالمين المادي والعقلي، وهي الفجوة التي تُجسد المعضلة التاريخية الكبرى المعروفة بمسألة "العقل والجسد".

وفي حين تذهب المدرسة الذاتية في الفلسفة إلى أن الاستشعار الذاتي هو اليقين الوحيد، يسعى هذا البحث لسبر أغوار هذه الآلية التي تسمح للنظام المادي البشري بتوليد ذلك الاستشعار بالوعي الذاتي الذي يمثل جوهر كينونتنا جميعاً.

أهمية البحث

تكمن أهمية البحث في مواجهة آراء بعض المفكرين الذين ينكرون وجود الوعي ككيان مستقل، حيث يرون أنه لا يمكن وجوده أو لا ينبغي طرحه كإشكالية؛ فبمجرد فهمنا لما تقوم به الخلايا العصبية، لن نجد ما يحتاج للتفسير. ومن أبرز هؤلاء "دانيال دينيت" الذي يصف القائلين بخصوصية الوعي بـ "الرومانسية"، كما نفى مفهوم "المسرح الديكارتي" واعتبره وهماً، مؤكداً أن الدماغ ليس مسرحاً أو منظماً له، بل الوعي نتاج شبكات عصبية معقدة. وكذلك "كارل ماركس" الذي يرى أن الوجود الاجتماعي المادي هو ما يحدد وعي الإنسان.

وفي ذات السياق، يبرز "الماديون الإقصائيون" مثل "تشيرشلاند" الذين يرون أن مفهوم الوعي ليس سوى وهم. أما المؤيدون فيرون أن دماغ الإنسان البالغ يحتوي على أكثر من مائة بليون عصبون، تتصل ببعضها بشكل يُمَكِّنُ العقل من التمتع بخصائصه المختلفة؛ ومن ثَمَّ يبذل الدماغ جهداً خارقاً لإيجاد الوعي (Sherry, 2018). وقد اهتم علماء الأعصاب النظريون بتقصي الكيفية التي يفسر بها المخ المادي الوعي، ثم اهتموا بالعلاقة المعقدة بين العقل والمخ.

إشكالية البحث وتساؤلاته

يسعى هذا البحث إلى معالجة مجموعة من الإشكالات الجوهرية التي تتصل بطبيعة الوعي من منظور فلسفي وعلمي متقاطع، ويمكن بلورة هذه الإشكالية في التساؤلات الرئيسة الآتية:

1. ما طبيعة الوعي وما وظيفته الجوهرية؟ وكيف تطور مفهومه عبر المحطات التاريخية والفلسفية؟
2. أين يكمن مقر الوعي؛ هل الدماغ الفيزيائي هو المسؤول عنه أم العقل ككيان مجرد؟ وما هي المرتكزات التي استندت إليها كل من الرؤيتين المادية والمثالية في هذا الصدد؟
3. ما هي أبرز الأطروحات والنظريات الحديثة التي ناقشت الوعي، لا سيما في مجالات الفيزياء الكوانتية، والبيولوجيا العصبية، وفلسفة العقل؟
4. ما طبيعة العلاقة الرابطة والاشتباك القائم بين الوعي كخبرة ذاتية والدماغ كبنية مادية؟

المنهج المستخدم

لتحقيق أهداف الدراسة والإجابة على تساؤلاتها، اعتمد الباحث على المنهج التحليلي النقدي المقارن؛ وذلك من خلال تحليل النصوص والمفاهيم الفلسفية والعلمية، ونقد الافتراضات التي بنيت عليها، والمقارنة بين الرؤى المادية والثنائية والفيزيائية. كما استعان الباحث بـ المنهج التأصيلي في المواضع التي تطلبت رداً للأفكار إلى جذورها الفلسفية الأولى وتتبع مسار تطورها التاريخي.

 Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

هيكلية الدراسة (فصول البحث)

انعكاساً لتساؤلات البحث ومنهجيته، تم تقسيم هذه الدراسة إلى ثلاثة فصول رئيسة على النحو الآتي:

- **الفصل الأول: مقدمة في فهم الوعي :**

يُخصص هذا الفصل لتأصيل مفهوم الوعي وتفكيك دلالاته اللغوية والاصطلاحية، مع استعراض أهم المفاهيم المستخدمة لتفسير هذه الظاهرة. كما يقدم الفصل مسحاً تاريخياً لتطور المصطلح عبر العصور، وصولاً إلى الرؤى الفلسفية المعاصرة التي شكلت وعينا الراهن بالظاهرة.

- **الفصل الثاني: الوعي بين الثنائية والمادية :**

يتطرق هذا الفصل بالبحث والتحليل إلى المعضلة التاريخية (النفس والجسد)، مستعرضاً المذهب الثنائي ومآلاته، ومقابله المادي الذي يحاول اختزال الوعي في المادة. كما يرصد الفصل استمرارية هذا السجال الفلسفي وتأثيره في تمهيد الطريق لظهور الفيزياء الحديثة وعلم الأعصاب كمنافسين في حل اللغز.

- **الفصل الثالث: الوعي بين الفيزياء والبيولوجيا:**

يناقش هذا الفصل أحدث المقاربات العلمية؛ حيث يستعرض محاولات الفيزياء الكوانتية (ميكانيكا الكم) لتقديم تفسير غير كلاسيكي للوعي، وفي المقابل، يحلل دور علم البيولوجيا العصبية في الكشف عن الميكانيزمات المادية للوظائف السيكولوجية. وينتهي الفصل ببيان الفجوة التفسيرية وغموض العلاقة الوجودية بين العقل والمخ.

الفصل الأول: مقدمة في الوعي

تمهيد:

تتجلى ظاهرة الوعي في أبسط صورها اليومية عندما يفيق المريض من غيابة التخدير الطبي؛ حيث نقول لغوياً وعلمياً إنه "استعاد وعيه". وبمعنى أكثر عمقاً، هو لم يستعد مجرد اليقظة الفيزيائية، بل استعاد إحساسه الجوهري بذاته واتصاله بالمحيط الخارجي من ألوان، وأصوات، وأشكال هندسية. إن هذه اللحظة الفارقة تمثل عودة حزمة متكاملة من العمليات المعرفية والوجدانية، بدءاً من القدرة على الشعور والانفعال، وصولاً إلى استرجاع شريط الذاكرة وممارسة ملكة التفكير؛ مما يجعل الوعي هو "المسرح" الذي تعرض عليه كافة تجاربنا الإنسانية.

تاريخياً، ارتبط البحث في الوعي بسؤال الهوية؛ فبجملته الخالدة "أيها الإنسان اعرف نفسك"، أطلق سقراط دعوة وجودية لسبر أغوار الذات (كرم، 1936). وتكمن عبقرية هذه الدعوة في أنها تفترض ضمنياً أن معرفة الذات -رغم إمكانها- ليست معطىً بديهياً أو ميسوراً؛ فلو كانت الذات الإنسانية شفافة تماماً أمام صاحبها، لما احتاجت الفلسفة قروناً من البحث لمساءلتها. ورغم البساطة الظاهرية لهذا المفهوم، إلا أنه يظل من أكثر القضايا غموضاً واستعصاءً على التفسير النهائي.

ومع تسارع الخطى العلمية في القرن الحادي والعشرين، لم يعد الوعي شأناً فلسفياً خالصاً، بل اقتحمته بقوة علوم الأحياء، والأعصاب، والذكاء الاصطناعي. هذا التداخل المعرفي وضعنا أمام تساؤلات ملحة لا يمكن تجاوزها: ما هي الوظيفة التطورية التي يؤديها الوعي؟ وهل كان بإمكان الكائن البشري أن يتطور كـ "زومبي فلسفي" (يؤدي الوظائف الحيوية دون وعي داخلي)؟ وهل للوعي "عنوان" أو حيز مكاني محدد داخل التلافيف الدماغية؟ (بلاكمور، 2016).

إن حالة الغموض التي تغلف هذا المفهوم دفعت "باتريشيا تشيرشلاند" إلى وصف الوعي بأنه "موضوع لم يكتب عنه شيء يشفي الغليل بعد"، في إشارة إلى قصور التوصيفات العلمية المتاحة عن رصد كنهه (عوض، 2011). وفي السياق ذاته، يرى "ديفيد تشالمرز" مفارقة عجيبة؛ فالوعي هو الجانب الأكثر محورية في وجودنا، وهو الشيء الوحيد الذي نعرفه معرفة مباشرة لا تقبل الشك، ومع ذلك، يظل من أكثر الظواهر تعقيداً في الكون الفيزيائي (فيرست، 1997).

وتنبثق الأهمية الجوهرية للوعي من كونه حجر الزاوية في بناء "الهوية الشخصية" وتراكم التجارب المعاشة. فمن الناحية البيولوجية، يضم دماغ الإنسان البالغ شبكة مذهلة تتجاوز مائة مليار عصبون، تترابط فيما بينها عبر ترليونات المشابك العصبية لتمكين العقل من ممارسة الذاكرة والتعلم والتفكير. وبناءً على

 Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

هذا التعقيد، يبذل الدماغ جهداً فائقاً "لتخليق" حالة الوعي، عبر دمج شتات المدخلات الحسية المبعثرة وصهرها في بوتقة واحدة لتقديم صورة منسجمة وموحدة عن العالم.(Sherry, 2018)

أولاً: مفهوم الوعي

تعني كلمة "الوعي" في قواميس اللغة العربية: "وَعَيْتُ العِلْمَ أَعِيهِ وَعْيًا"؛ ووعى الشيء والحديث يَعِيهِ: أي حفظه وفهمه وقبله، فهو واعٍ. ويُقال: فلان أَوْعَى من فلان، أي أحفظ وأفهم (سعيد، 2021). أما في اللغة الإنجليزية، فالمصطلح المقابل هو (Consciousness)، المشتق من الأصل اللاتيني الذي يعني "المعرفة المشتركة مع الآخرين"؛ وفي السياق الفلسفي، يشير المصطلح إلى الإحساس، والمعرفة، والإدراك، حيث يتمحور حول الوجود بنوعيه الداخلي والخارجي (الطلافيح، 2023).

لم يتوصل العلماء حتى الآن إلى تعريف "جامع مانع" لمصطلح الوعي؛ بيد أننا نستطيع القول إن كل مجال علمي عرّفه من منظوره الخاص. وبشكل عام، يُقصد بالوعي "ملكة الإحساس التي تتقاسمها معنا الكائنات الأخرى"؛ فالوعي موجود في الكائنات الحية كافة، لكنه يتفاوت في شدته ودرجاته، ابتداءً من أبسط الكائنات الحية كالأميبا وصولاً إلى الإنسان. وعلى الرغم من اعتراض بعض العلماء الذين يقصرون الوعي على الإنسان وحده، إلا أن ما يميز البشر حقيقةً هو "الوعي الذاتي"، وهو السمة التي تجعل الإنسان قادراً على الرجوع إلى ذاته وإدراكها.

فالوعي هنا يعني القدرة على الاختيار، وإصدار الأحكام، واتخاذ القرارات، وحل المشكلات، والابتكار؛ وأهم ما فيه هو وعي الفرد بهويته الشخصية. وقد استُخدم المفهوم بدلالات متباينة في العلوم الاجتماعية؛ ففي علم النفس، يشير الوعي أولاً إلى "حالة اليقظة العادية"، وثانياً إلى "قدرة الإنسان المتميزة على الشعور بذاته" وتمييزها عن الآخرين والأشياء. أما في علم الاجتماع، فقد رُكِّز على أن الوعي نتاج لتطور فسيولوجي في مخ الإنسان، وقدرته على العمل وابتكار اللغة؛ فهو نتاج لتفاعل المعرفة المكتسبة (فردية أو اجتماعية) مع المخ، وبهذا يصبح اللاوعي جزءاً من الوعي يتبادلان التأثير والتأثر.

وفي الفلسفة، تعددت التعريفات لتربط الوعي بالمعرفة والإدراك الذي يختص به الفرد شخصياً، ما يتيح له التعبير عن تجاربه بالكلمات. وهناك من يساوي بين الوعي والعقل، وأبرزهم "دانيال دينيت" الذي يرى أن الوعي لا يقتصر على الانتباه فحسب، بل يشمل الرغبات، والأمزجة، والذاكرة، والتعلم، والعمليات العقلية كافة (فيشباخ، 1994).

يتقاطع مصطلح الوعي مع عدة مفاهيم مركزية في العلوم المعرفية، مما أدى إلى تعدد استخداماته الوظيفية؛ حيث استُخدم كمرادف لـ "الإدراك الواعي .(Conscious Perception) "وفي هذا السياق، لا يقتصر الوعي على التجارب الذاتية المحضة، بل يشمل "العالم الظواهري" الذي نستشعره ونحس به وندركه كموضوعات خارجية .(Velmans, 1996) وفي أحيان أخرى، يُستخدم الوعي كمرادف لـ "الانتباه " بمعناه الانتقائي الذي يفصل بين سيل المدركات والأفكار، أو بمعنى "معرفة الذات "والإحساس بالوجود، وهو ما يؤكد الارتباط الوثيق بين الوعي كحالة وجودية والمعرفة كعملية إدراكية.(Velmans, 1996)

علاوة على ذلك، يُعرف الوعي بأنه "التجربة الذهنية "المستمرة التي لا تنقطع كلياً حتى في حالات النوم أو التخدير؛ إذ يؤكد علماء الأعصاب أن النشاط العصبي يظل في حالة عمل دائم وإن اختلفت أنماطه (فيشر، 1989). ورغم الخلط الشائع بين الوعي والتفكير، إلا أن الفلسفة المعاصرة تميز بينهما عبر مفهوم "الشعور"؛ فبينما تكون الكثير من أفكارنا واعية، إلا أن الوعي أشمل من التفكير المجرد، وهذا التمييز يسمح بتفسير آليات التفكير دون الاضطرار بالضرورة لتفسير كنه "الشعور" أو الكيفية الذاتية (كرين، 2019).

ويمكن تحديد مستويات اعتبار الكائن "واعياً" وفق ثلاثة أبعاد تراتبية:

1. **القدرة على الإحساس :**وهي الحالة التي يكون فيها الكائن حساساً وقادراً على الاستجابة العامة للمنبهات البيئية.(Armstrong, 1981)
2. **اليقظة :**وهي ممارسة هذه القدرة بالفعل، حيث يكون الكائن في حالة تنبه ونشاط إدراكي.

 Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

3. **الوعي بالذات :(Self-Consciousness)** وهو المستوى الأرقى والأكثر تحديداً؛ حيث لا يكتفي الكائن بالوعي بالعالم، بل "يعي أنه واعٍ"، مما يتطلب إدراكاً مفاهيمياً صريحاً للذات ككيان مستقل (Rosenthal, 1986).

الفجوة التفسيرية: المشكلات السهلة والمشكلة الصعبة

لتحقيق دقة منهجية في دراسة الوعي، وضع الفيلسوف "ديفيد تشالمرز" تمييزاً جوهرياً بين نوعين من المشكلات التي تواجه العلم (تشالمرز، 1997):

1. **المشكلات السهلة :(The Easy Problems)** وتتعلق بالآليات الوظيفية للجهاز العصبي، مثل: كيف يميز الدماغ المنبهات الحسية؟ وكيف يدمج المعلومات للتحكم في السلوك؟ وكيف يتم التعبير عن الحالات الداخلية؟ هذه التساؤلات، رغم تعقيدها التقني، تقع ضمن نطاق علم النفس المعرفي وعلم الأعصاب، ويمكن حلها عبر كشف الميكانيزمات الحيوية.
2. **المشكلة الصعبة :(The Hard Problem)** وهي المعضلة الحقيقية التي تبحث في كيفية قيام العمليات الفيزيائية والمادية في الدماغ بتوليد "الخبرة الذاتية" الكيفية (مثل الإحساس ببهجة اللون أو مرارة الحزن). إن هذا الانبثاق للوعي من المادة يظل السر الحقيقي للعقل الذي يعجز الوصف الفيزيائي الخالص عن ردم فجوته (تشالمرز، 1997).

ومع ذلك، لم يحظَ طرح "تشالمرز" بإجماع كلي؛ إذ عارضته "باتريشيا تشيرشلاند "واصفة إياها بـ "المشكلة الخداعية"، معتبرة أن التقدم العلمي الكفيل بتفسير الذاكرة والانتباه والوظائف العصبية لن يترك وراءه شيئاً غامضاً يسمى "الوعي". وفي ذات السياق الإقصائي، يذهب "دانيال دينيت "إلى إنكار المشكلة الصعبة جذرياً، متبنياً "المادية الإقصائية" التي ترفض وجود الظواهر الذاتية أو "الكواليا"، معتبراً الوعي مجرد وهم ناتج عن عمليات وظيفية معقدة (عاطف، 2021).

الملامح المشتركة لحالات الوعي

يرى الفيلسوف "جون سيرل" أن الوعي ليس كياناً ميتافيزيقياً غامضاً، بل هو خاصية بيولوجية تتمتع بخصائص فريدة تميزها عن بقية الظواهر الفيزيائية. ويمكن حصر الملامح المشتركة لجميع حالات الوعي في ثلاث ركائز أساسية (عاطف، 2021):

1. **الداخلية :(Inner)** تشير هذه الخاصية إلى أن جميع التجارب الواعية تحدث داخل فضاء ذهني داخلي يرتبط عضوياً بالعمليات الدماغية. فلا يمكن للوعي أن ينفصل عن المخ أو يوجد مستقلاً عنه؛ تماماً كما لا يمكن فصل "سيولة الماء" عن جزيئات الماء نفسها، أو "الصلابة" عن بنية الجزيئات المكونة للمادة. فالوعي هو ملمح من مستوى أعلى للمخ الناتج عن عمليات بيولوجية في مستويات أدنى (سيرل، 2007).
2. **الكيفية :(Qualitative)** تُعرف في فلسفة العقل بـ "الكواليا(Qualia) "، وتعني أن لكل حالة واعية "كيفية" أو "شعوراً" خاصاً يشعر به الفرد. وقد صاغ "توماس ناجل" هذا المفهوم بقوله: "إن هناك شيئاً ما يشبه أن يكون الكائن في حالة معينة". فالتجربة الحسية الواحدة (مثل تذوق عصير أو رؤية اللون الأحمر) لها طابع كيفي يختلف باختلاف الظروف المحيطة وباختلاف الجهاز العصبي للشخص، وهذا "الكيف" هو ما يجعل الوعي غير قابل للاختزال في مجرد أرقام أو معادلات فيزيائية (سيرل، 2007).
3. **الذاتية :(Subjective)** وهي الملمح الأكثر إثارة للجدل، وتعني أن الوعي يمتلك "أنطولوجيا في صيغة المتكلم"؛ أي أنه لا يوجد إلا بوصفه مُختبَراً بواسطة "ذات" معينة. فعلى عكس الجبال أو الأشجار التي توجد وجوداً موضوعياً (صيغة الغائب) سواء رآها أحد أم لا، فإن الألم -على سبيل المثال- لا يوجد إلا إذا شعر به شخص ما. هذه الذاتية تعني أننا لا نستطيع الوصول لتجارب الآخرين بنفس الدرجة التي نصل بها لتجاربنا، مما يجعل الوعي فريداً في نوعه مقارنة بأي ظاهرة طبيعية أخرى.(Searle, 1997)

 Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

أنواع الوعي

يتخذ الوعي أشكالاً ومستويات متعددة تختلف باختلاف الدرجة والوظيفة، ويمكن تصنيفها إلى (سعيد، 2021):

1. **الوعي العفوي (التلقائي) :**وهو حالة من الإدراك المباشر والنشاط الذهني التلقائي الذي يصاحب أفعالنا اليومية دون الحاجة إلى مجهود ذهني مكثف أو تركيز عالٍ، مثل الوعي بالمحيط المكاني أثناء المشي.
2. **الوعي التأملي (القصدِي) :**يُمثل مستوى أرقى من الوعي، حيث يرتد الذهن فيه إلى ذاته ليتأمل أفكاره ومشاعره. يتطلب هذا النوع حضوراً ذهنياً قوياً ويرتكز على القدرات العقلية العليا كالذاكرة البعيدة، والذكاء، والتحليل المنطقي.
3. **الوعي الحدسي :**هو إدراك مباشر، يقيني، ومفاجئ للأشياء أو الحقائق دون المرور بخطوات الاستدلال المنطقي أو البرهان الرياضي. إنه نوع من "الاستبصار" الداخلي الذي يمنح الفرد معرفة فورية بموضوع ما.
4. **الوعي المعياري (الأخلاقي) :**يعتبر أرقى تجليات الوعي البشري؛ إذ يتجاوز مجرد الإدراك الحسي إلى القدرة على إصدار أحكام قيمية (خير/شر، صواب/خطأ). وهو الوعي الذي يوجه سلوكنا ويجعلنا نشعر بالمسؤولية تجاه قراراتنا، وبناءً عليه تتشكل قناعاتنا الأخلاقية والتزاماتنا تجاه الذات والمجتمع.

ثانياً: مفهوم الوعي في الفلسفة على مر التاريخ

لم تكن مسألة الوعي وليدة الصدفة في الفكر الإنساني، بل شغلت مساحة مركزية عبر العصور؛ فالتساؤلات حول ماهية "الأنا" المدركة قد طُرحت منذ فجر التاريخ البشري. وتقدم طقوس الدفن المعقدة في الحضارات القديمة دليلاً مبكراً على وجود تفكير تأملي في ماهية الروح والوعي بعد مفارقة الجسد. كما تبنت الثقافات الشفهية قبل تدوين التاريخ نظرة "روحية" شاملة ترى الوعي كجزء من نسيج كوني يتجاوز المادة (Nagel, 2023).

ومع بزوغ فجر العصر الحديث في القرن السابع عشر، انتقل الوعي من حيز التأمل الروحي ليصبح المحور الأنطولوجي الذي يرتكز عليه التفكير الفلسفي. وفيما يلي استعراض لأبرز التحولات الفلسفية:

- **رينيه ديكارت (عقلانية الوعي) :**يُعد ديكارت الأب الروحي لثنائية الوعي؛ إذ جعله "اليقين الأول" غير القابل للشك عبر "الكوجيتو". فعرف الوعي بوصفه صفة جوهرية للنفس، واعتبر أن "كل ما هو نفسي واعٍ، وكل ما هو لا واعٍ جسدي"، وهو ما أسس لـ "معضلة العقل والجسد" (درويش، 2009). ففعلُ "الإدراك الباطني" عند ديكارت يظل الحقيقة التي لا تطالها يد الشك، حتى لو كان العالم الخارجي محض وهم.
- **غوتفريد لايبنتز (الوعي والإدراك المتميز) :**طور لايبنتز فكرة الوعي بوصفه "معرفة انعكاسية"؛ فميز بين الإدراك البسيط (Perception) الذي تشترك فيه الكائنات، وبين الوعي (Apperception)الذي يتسم بالفكر العميق والفهم الكامل لذاته.
- **باروخ سبينوزا (وحدة الوعي) :**على نقيض ديكارت، رأى سبينوزا الوعي كجزء من نظام طبيعي واحد؛ فليس هو ملكة عقلية منفصلة أو قوة سحرية، بل هو وعي الجسم بحالاته. واعتبر الوعي حقيقة لا تتفاوت في درجاتها لأنها تنبع من جوهر واحد.
- **جون لوك (الوعي والارتباط الحسي) :**في التقليد التجريبي، عرّف لوك الوعي بأنه "إدراك ما يدور في عقل الإنسان"، وربط الهوية الشخصية بالوعي المستمر. فالحواس والبيانات الحسية هي الوقود الذي يغذي حالة الوعي، وبدونها يظل العقل لوحة بيضاء.
- **ديفيد هيوم (حزمة الإدراكات) :**ذهب هيوم إلى أن الوعي ليس "جوهراً" ثابتاً، بل هو انعكاس لتيار متدفق من الإدراكات الحسية المتلاحقة، واصفاً إياه بالمسرح الذي تمر عليه الأفكار دون وجود مسرح حقيقي خلفها.

 Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

- **إدموند هوسرل (قصدية الوعي) :**أحدثت الفينومينولوجيا ثورة بتعريف الوعي عبر "القصدية " (Intentionality)؛ فكل وعي هو بالضرورة "وعي بشيء ما". فلا وجود لوعي مطلق في فراغ، بل هو فعل نشط يتجه دائماً نحو موضوعه في العالم (الطلافيح، 2023).

أما في الفلسفة المعاصرة، فقد اتخذ النقاش أبعاداً أكثر نقداً وتعقيداً:

- **فريدريك نيتشه (نقد الوعي) :**اتخذ موقفاً راديكالياً باعتبار الوعي "ظاهرة ثانوية" وسطحية، محذراً من أن الوعي أداة للتواصل الاجتماعي أكثر مما هو أداة للحقيقة، مصرحاً بأن "كل ما يصبح واعياً يصاحبه التحريف والتزييف"، واصفاً إياه بالسطح الذي يغطي أعماق الغرائز (عاطف، 2021).
- **توماس ناجل (المنظور الذاتي) :**أعاد الاعتبار للذاتية عبر سؤاله الشهير "كيف يكون الحال لو كنت خفاشاً؟"؛ مؤكداً أن الوعي هو امتلاك "منظور ذاتي" لا يمكن اختزاله في الأوصاف المادية الميكانيكية للدماغ.(Nagel, 2023)
- **بيرتراند راسل (الوعي والحياد) :**ميز بين "فعل الوعي" و"موضوع الوعي"، ورأى أن الوعي وسيلة للوصول للبيانات الحسية، مؤكداً ضرورة فهمه كخاصية عقلية تدرك عالماً قد يكون مادياً في جوهره.(Russell, 1921)
- **يوهان هيربارت (عتبة الوعي) :**قدم مفهوماً ديناميكياً يرى أن الأفكار تملك "كثافة" تجعلها تطفو فوق "عتبة الوعي" أو تغوص في اللاوعي، وهو ما مهد الطريق لاحقاً لعلم النفس التحليلي (عاطف، 2021).

تعقيب تحليلـي

بناءً على هذا الاستعراض التاريخي، يتضح أن الاستعصاء في إيجاد تعريف "جامع مانع" للوعي ينبع من طبيعة الوعي ذاتها كظاهرة تجمع بين البيولوجيا والميتافيزيقيا. ومع ذلك، لا يمكن إنكار الوعي؛ فالحقيقة الأكثر مركزية في الوجود هي وجود "أنا" ترصد العالم من الداخل.

إن إشكالية الوعي الحقيقية تكمن في تفسير "الكواليا (Qualia) "أو المشاعر الذاتية؛ فتيار الوعي ليس مجرد استجابة سلوكية أو ألم جسدي، بل هو تجربة تمتلك "ذاتية أنطولوجية ."إن تفسير المسارات العصبية، مهما بلغت دقته، يظل تفسيراً "من منظور الغائب"، بينما الوعي يُعاش "من منظور المتكلم". لذا، فإن أي نظرية تتجاهل هذه الفجوة تظل نظرية ناقصة، فالوعي هو المحرك الذي يسبق السلوك، والتصرفات الخارجية ليست إلا ثمرة للتجربة الواعية وليست هي التجربة ذاتها.

الفصل الثاني: الوعي بين الثنائية والمادية

تمهيد :

يدعي الكثيرون إيجاد حل لغز الوعي، وبالنظر إلى مجمل هذه الأطروحات نجدها تندرج تحت نوعين رئيسين من النظريات: إما نظريات "ثنائية" تفصل بين العقل والجسد، وإما نظريات مادية تقوم على معطيات الفيزياء الحديثة والعلوم العصبية.(Neurosciences)

تتسم الفكرة الثنائية بجاذبية خاصة؛ كونها تتسق مع طريقتنا الفطرية في إدراك الوعي. ومن الأمثلة الحديثة عليها "التفاعلية الثنائية" التي اقترحها (بوبر وإيكلز)، حيث افترضا وجود عقل غير مادي واع بذاته، ومنفصل عن الدماغ المادي. ومع ذلك، واجهت هذه النظريات انتقادات لعدم تقديمها تفسيراً مرضياً لكيفية حدوث "التجربة الذاتية" أو كيفية التفاعل بين كيانين مختلفين في الجوهر.(Dennett, 2005)

وعلى مر القرون، طرح الوعي مشكلة ميتافيزيقية عميقة: كيف لعالم يتكون كلياً من ذرات مادية أن يحتوي على أنظمة واعية؟ فإذا نظرت للوعي كظاهرة منفصلة عن الواقع الفيزيائي فأنت تتبنى "الثنائية" (سيرل، 2011). أما إذا أنكرت الوعي كظاهرة ذاتية غير قابلة للاختزال، فأنت مضطر لتبني "المادية"، والادعاء بأن الوعي -بمعناه الذاتي- لا وجود له (كرين، 2019).

 Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

أولاً: الوعي ومذهب الثنائية

والثنائية تعنى وجود نوعين مختلفين اختلافا أساسيا من الظواهر أو الكائنات فى الكون. ومبدأ الثنائية الذى يقر بوجود عالمين مستقلين وهما العالم المادى وآخر عقلى يحظى بتاريخ طويل جدا حيث يمتد منذ آلاف السنين ، حيث تجمع هذه التوجهات على أن مفهوم العقل ووظيفته، كالتفكير، والإدراك والحس، والوعي، وغيرها، لا يمكن ردها إلى الدماغ وحده.

وهذا الموقف قد تناقل على مر التاريخ، وتناقلته معظم الثقافات غير الغربية حتى اليوم، وكذلك ينطبق هذا الأمر على معظم المثقفين الغربيين أيضًا.

فالأديان السماوية الثلاثة هى ايضا تحمل الصيغة الثنائية تماماً فهم يؤمنون بوجود روح غير مادية وخالدة ، بينما الأديان الغير سماوية نجد ايضا هناك فكر للثنائية فيها وعلى سبيل المثال : الهندوسية تؤمن بمفهوم " الأتمان " أى الذات الداخلية المقدسة ، تسود فكرة الثنائية في الثقافات الغربية، فنظريات حركة العصر الجديد تتحدث عن قوى العقل والوعي والروح كما لو كانت قوى مستقلة بعضها عن بعض، ويؤكد المعالجون بالطب البديل تأثير العقل على الجسد كما لو أنهما كيانان، أحدهما منفصل عن الآخر، وتلك الثنائية متغلغلة في لغتنا، فنحن نقول: "عقلي أو جسدي"، وكأن "أنا" كيان مستقل عن كليهما. وتعتبر البوذية هي الوحيدة التى ترفض فكرة الروح أو النفس الداخلية الدائمة

وأشهر من نادى بالثنائية هو الفيلسوف الفرنسى " رنية ديكارت " ، فأهم الركائز التي ترتكز عليها فلسفة ديكارت هى التفرقة بين الدماغ والعقل ، فديكارت يعتقد أننا هناك ما نشترك فيه مع الحيوانات الأخرى والتى يمكن رده إلى أعضاء الجسد الحسية التى يمكن ان نراها ونقيسها ، مثل قدرتنا على الحركة والرؤية والنوم والسمع والحس ، فجميعها قدرات يشترك فيها الإنسان والحيوان ، ولكن يتميز الإنسان عن الحيوان بما سمها ديكارت " العقل " ، فالعقل هو الذى يحدث التفكير ، وهو الذى اعتقده ديكارت بأنه لا يمكن أن يوجد في المادة ولا في زمن، بل يتواصل مع أجسادنا عبر الغدة الصنوبرية وسط الدماغ كسمة بشرية صرفة والذى عبر عنها بمقولته الشهيرة:"أنا أفكر؛ إذا أنا موجود". ظل العقل بعيدًا عن حقول العلم الطبيعي بعد ذلك لفترة طويلة تحت تأثير الفلسفة الديكارتية، بل إن كانط ادعى بأن العلوم القائمة على دراسة العقل، يستحيل أن توجد؛ لأنه ليس للعقل طبيعة حسية، مثل: المعادن والمواد، وليس له وزن ولا مكان، فلا يخضع بالتالي للتجارب العلمية (جعفر، 1990).

أولاً: صور النظريات الثنائية(Dualism)

تعتمد الثنائية على مبدأ الفصل الأنطولوجي بين الجسد المادي والوعي غير المادي، وتتخذ عدة أشكال فلسفية:

1. **ثنائية الجوهر :(Substance Dualism)** تؤكد وجود نوعين متمايزين من الجواهر في الكون: موضوعات مادية تشغل حيزاً مكانيًا، وعقول لا مادية (نفوس) يكمن فيها الوعي. تعود جذور هذه الرؤية للعصور القديمة، لكنها تبلورت بوضوح مع "رينيه ديكارت" فيما عرف بـ **"الثنائية الديكارتية** ."ورغم تراجع حظوتها في العلم المعاصر، إلا أن لها مؤيدين يرون أن المادة وحدها لا يمكنها تفسير ملكات التفكير الحر.(Foster, 1989)
2. **ثنائية الخاصية :(Property Dualism)** ترى أن العالم يتكون من جوهر واحد (المادة)، لكن المادة عندما تبلغ مستوى معينًا من التعقيد (كالدماغ البشري)، تظهر لها خصائص متميزة ميتافيزيقيًا: خصائص فيزيائية (كالوزن والمكان) وخصائص عقلية (كالألم والوعي). وتؤكد هذه الرؤية أن الخصائص الواعية لا يمكن اختزالها كليًا في القوانين الفيزيائية .(Chalmers, 1995) وتتفرع إلى:
   - أ- **الخصائص الجوهرية :**اعتبار الذهن مكونًا أوليًا للواقع كالشحنة الكهربائية.
   - ب- **الخصائص المنبثقة :(Emergentism)** الوعي نتيجة لتعقيد المادة، لكنه يمتلك قوانين خاصة لا تفسرها المادة وحدها.
   - ت- **النظرية التفاعلية :**تفسر العلاقة كـ "تأثير متبادل"؛ حيث يسبب الجوع (حالة جسدية) فكرة الطعام (حالة ذهنية)، والعكس صحيح (زيدان، 1977).

 Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

ث- **الموازاة النفسية الجسمية :(Parallelism)** ترى أن العقل والجسم يسيران في خطين متوازيين بتناغم تام دون اتصال سببي مباشر، مثل "الانسجام الأزلي" عند ليبنتز.

ثانياً: الوعي والمادية(Materialism)

على النقيض تماماً، يرى الماديون أن الوعي ليس سوى نتاج لتفاعلات فيزيائية داخل الدماغ، وتتعدد صورها:

1. **المادية الإقصائية :(Eliminativism)** ينكر أتباعها وجود "الوعي" أو "الكواليا" كظواهر حقيقية، ويرون أنها مفاهيم من "علم النفس الشعبي" الخاطئ، ويجب استبدالها بلغة علم الأعصاب الصرفة.(Churchland, 1983; Dennett, 1990)
2. **السلوكية :(Behaviorism)** ترد الحالات العقلية إلى سلوكيات قابلة للملاحظة؛ فأن تكون في حالة ألم يعني ببساطة أنك تمارس "سلوك التألم" (سيرل، 2011).
3. **الفيزيائية :(Physicalism)** تطابق مباشر بين الحالة العقلية والحالة الدماغية؛ فالوعي هو مجرد "إثارة عصبونية" في مناطق محددة.
4. **الوظيفية :(Functionalism)** تعرف الوعي بوظيفته التكيفية؛ فهو "الوسيط" بين المثير الخارجي والسلوك الناتج، بغض النظر عن المادة التي تؤدي هذا الدور (سيرل، 2011).
5. **الذكاء الاصطناعي القوي :(Strong AI)** يرى الدماغ كأداة (Hardware) والعقل كبرمجيات (Software)؛ فإذا نفذ الحاسوب البرنامج الصحيح، فإنه سيمتلك وعياً حقيقياً.
6. **نظرية الحالة المركزية :**ترى تطابقاً كاملاً بين العمليات الذهنية والجهاز العصبي المركزي؛ فالعقل هو الدماغ بلا زيادة أو نقصان.(Dennett, 1990)

تعقيب نقدي

لقد ورثنا تقليداً فلسفياً يبدو عاجزاً عن معالجة الوعي كجزء طبيعي من العالم الطبيعي؛ فبينما يرفعه **الثنائيون** إلى مرتبة ميتافيزيقية متعالية تجعل دراسته علمياً مستحيلة، يقوم الماديون باختزاله أو إنكاره لتسهيل دراسته، مما يسقط "الخبرة الذاتية" من الحساب. وفي كلتا الحالتين، تظل الفجوة التفسيرية قائمة: كيف يمكن لوصف مادي خارجي (بصيغة الغائب) أن يفسر إحساساً داخلياً (بصيغة المتكلم)؟

الفصل الثالث: الوعي بين الفيزياء والبيولوجيا

تمهيد :

على الضفة الأخرى، نجد النظريات التي اعتمدت على الفيزياء الحديثة قد اتخذت نهجاً مغايراً؛ إذ يشبه بعضها السلوك "اللامكاني" للوقت في فيزياء الكم بتأثيرات مماثلة في الوعي، بينما يعتمد البعض الآخر على الفكرة المثيرة للجدل التي ترى أن "الملاحظ الواعي" شرط أساسي لشرح انهيار الدالة الموجية في ميكانيكا الكم. ولعل النظرية الأكثر شهرة في هذا السياق هي التي تعتمد على "الحوسبة الكمية في الأنيبيبات الدقيقة"؛ حيث يرى اختصاصي التخدير "ستيوارت هامروف" وعالم الرياضيات "روجر بنروز" أن الأنيبيبات الدقيقة في الخلايا الدماغية مصممة لكي تسمح بالتماسك والاتصالات الكمية على مستوى الدماغ، مما يفسر وحدة الوعي وإمكانية وجود الإرادة الحرة.

بالمقابل، نجد النظريات المعتمدة على علم البيولوجيا العصبية؛ حيث يفترض "جيرالد إديلمان" و"جيوليو تونوني" أن الوعي ينشأ عندما تشكل مجموعات كبيرة من الخلايا العصبية مركزاً ديناميكياً في الدماغ، مع وجود وصلات تنقل الإشارات ذهاباً وإياباً بين المهاد والقشرة الدماغية. وتقترح اختصاصية علم الأدوية "سوزان جرينفيلد" أن الوعي ليس ظاهرة "كل شيء أو لا شيء"، بل تزداد درجته مع حجم التجمعات العصبية المترابطة التي تعمل معاً. ومع ذلك، تظل هذه النظريات قاصرة عن تفسير لماذا يجب أن تنتج هذه الشبكات "تجارب ذاتية" في المقام الأول.

 Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

أولاً: العلاقة بين الوعي والفيزياء

يدور لغز الوعي حول فهم كيفية قيام مادة فيزيائية كالمخ بتوليد الوعي. فنحن نشعر أن وعينا لا بد أن يقوم على أساس مادي، لكننا في الوقت ذاته نجد صعوبة في فهم كيفية حدوث ذلك، مما جعل الكثيرين يرون في الوعي لغزاً مستعصياً (كرين، 2011). وقد دفع هذا الغموض بعض الباحثين إلى استدعاء فيزياء الكم لشرح الظاهرة.

ظهرت مدرسة جديدة من الفيزيائيين ترى أن فهم تجليات النسبية وميكانيكا الكم يتطلب أحاسيس غير تقليدية. وتدرس هذه المدرسة الوعي منذ عشرينيات القرن الماضي، مع إحساس عام بأهميته للفيزياء، رغم عدم الوصول لصيغة رياضية تربط الوعي بمعادلات المادة. ويعتقد هؤلاء أن نظرية الكم ضرورية لفهم عمل الدماغ؛ فمثلما يمكن للأجسام الكمومية التواجد في مكانين معاً، يمكن للدماغ الكمي حمل فكرتين متضادتين في آن واحد.

وكان "ديفيد تشالمرز" من أوائل من قاربوا بين الوعي والفيزياء، مقترحاً أن نظرية الوعي يجب أن تتعامل مع "التجربة" كميزة أساسية للعالم، جنباً إلى جنب مع الكتلة والزمان (بنروز وآخرون، 2009). ويجب التعرف على الوعي كجانب غير قابل للاختزال من الواقع، تماماً كالمجالات الكهرومغناطيسية التي لا يمكن اختزالها ولكنها ترتبط بالضرورة بسلوك الجسيمات.

العقل الكمي (الوعي الكمي) :يقترح هذا التوجه أن الميكانيكا الكلاسيكية تعجز عن تفسير الوعي، مفترضاً أن ظواهر مثل "التشابك" و"التراكب" الكمي تؤدي دوراً حيوياً في وظائف الدماغ (موسوعة ستانفورد، 2011). ومنذ ظهور ميكانيكا الكم، نادى علماء مثل "فيرنر هايزنبيرغ" بأن القياس والإحساس متزامنان، وأن الوعي هو أساس التماثل في الفيزياء. وشاركه "إرفين شرودنجر" الرؤية بضرورة الاعتراف بذكاء كوني، كما آمن "جون فون نيمان" بأن الوعي يتفاعل مع قوانين الفيزياء ويؤثر في النتائج.

وفي المقابل، طور "يوجين ويغنر" فكرة أن انهيار الدالة الموجية يحدث بسبب التفاعل مع الوعي، وجادل "فريمان دايسون" (1985) بأن "العقل متأصل إلى حد ما في كل إلكترون". غير أن هذه الحجج واجهت انتقادات؛ حيث وصف "فيكتور ستينجر" الوعي الكمي بأنه أسطورة بلا أساس علمي، بينما يشكك "تشالمرز" (1995) في قدرة أي فيزياء جديدة على حل "مشكلة الوعي الصعبة". ويمكن استخلاص أن حجة "عدم فهم ميكانيكا الكم يعني أنها تفسر الوعي غير المفهوم" هي حجة تفتقر للمنطق (بنروز وآخرون، 2009).

ثانياً: الوعي والمنظور البيولوجي

يُعد الدماغ البشري النظام الأكثر تعقيداً في الكون المعروف؛ فهذه الكتلة الحيوية التي تزن حوالي 1.5 كجم، تضم في ثناياها شبكة مذهلة تتكون من حوالي 86 مليار خلية عصبية (عصبون)، وما يقارب 100 ترليون وصلة عصبية (بلاكمور، 2016). وتتجلى الصلة الوثيقة بين الدماغ والوعي في أن أي تدخل في كيمياء الدماغ أو بنيته الفيزيائية (سواء عبر العقاقير، أو التخدير، أو الإصابات المباشرة) ينعكس فوراً وبشكل جذري على محتوى التجارب الذاتية وهيكل الوعي نفسه.

نظريات الانبثاق البيولوجي:

حاول العديد من العلماء تفسير كيف ينتج هذا النسيج المادي "وعياً" غير مادي، ومن أبرز هذه المحاولات:

- **نظرية جيرالد إديلمان :(Gerald Edelman)** يفترض إديلمان أن الوعي ليس "مكاناً" في الدماغ، بل هو "عملية" تنبثق مما أسماه "المركز الديناميكي .(Dynamic Core) "هذا المركز هو نتاج ترابط مستمر وتفاعلي بين مجموعات عصبية ضخمة في القشرة الدماغية والمهاد، مما يسمح بدمج المعلومات المتعددة في تجربة واحدة موحدة.
- **نظرية سوزان جرينفيلد :(Susan Greenfield)** ترى أن الوعي ليس حالة (كل أو لا شيء)، بل هو "ظاهرة متدرجة" تزداد قوة وعمقاً طردياً مع حجم التجمعات العصبية المترابطة التي تعمل بانسجام في لحظة زمنية معينة. فكلما زاد عدد العصبونات المجندة للاستجابة لمثير ما، زادت شدة الوعي بهذا المثير (بلاكمور، 2016).

 Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

الآليات المادية للوعي (كيف يعمل الدماغ؟):

يتمتع الجهاز العصبي بقدرات هائلة كالإدراك والتعلم وتخزين الذاكرة، ورغم التطور المذهل في تقنيات التصوير العصبي، لا نزال نجهل "النقطة الحرجة" التي تتحول فيها النبضة العصبية إلى "إحساس". ومع ذلك، يمكن رصد ثلاث سمات جوهرية لطبيعة العمل الدماغي (تريفل، 2006):

1. **الطبيعة الكيميائية للإشارة :**لا ينتقل الوعي عبر تيار كهربائي بسيط كالموجود في الأسلاك، بل عبر عمليات كيميائية معقدة في "المشابك العصبية". تفرز هذه المشابك جزيئات متخصصة (ناقلات عصبية) ترتبط بمستقبلات دقيقة، مما يعني أن الوعي "سائل" كيميائياً بقدر ما هو "نبض" كهربائي.
2. **التخصص والوحدة (النوى والقشور) :**يتميز الدماغ بالترابط الكثيف بين خلايا تتجمع في وحدات وظيفية (نوى أو قشور) تؤدي مهام تخصصية (مثل مركز الرؤية، مركز اللغة). هذا التنظيم يجعل الدماغ أشبه بمجموعة من "القرى المستقلة" التي تنسق معاً عبر ممرات سريعة لإنتاج وعي كلي متكامل.
3. **الأساس الجزيئي للهوية :**تعتمد مشاعرنا، وانفعالاتنا، وحتى تصورنا عن "الأنا" على اتحاد الجزيئات كيميائياً داخل الدماغ. هذا الفهم هو الذي أحدث ثورة في الطب النفسي الحديث؛ حيث أصبح من الممكن تعديل الحالات الوجدانية (مثل الاكتئاب أو القلق) من خلال إعادة التوازن الكيميائي لهذه الجزيئات، مما يؤكد أن الوعي متجذر في البنية البيولوجية.

البنية التشريحية وتكامل الوعي

ينقسم الدماغ البشري بنيوياً إلى نصفين (نصفي الكرة الدماغية)، يمثلان ذروة التطور العصبي الذي انبثق تاريخياً من "جذع دماغي "أكثر بدائية ومسؤول عن الوظائف الحيوية الأساسية (فيرست، 1997). وفي هذا النظام المعقد، يعمل النخاع الشوكي كجسر لنقل الرسائل الحسية، بينما يتولى المخيخ مهمة تنسيق التوازن والحركة، وتنفرد القشرة الدماغية (Cerebral Cortex) بالمهام الأرقى كالإدراك، ومراقبة الحركة الإرادية، ومعالجة الرموز.

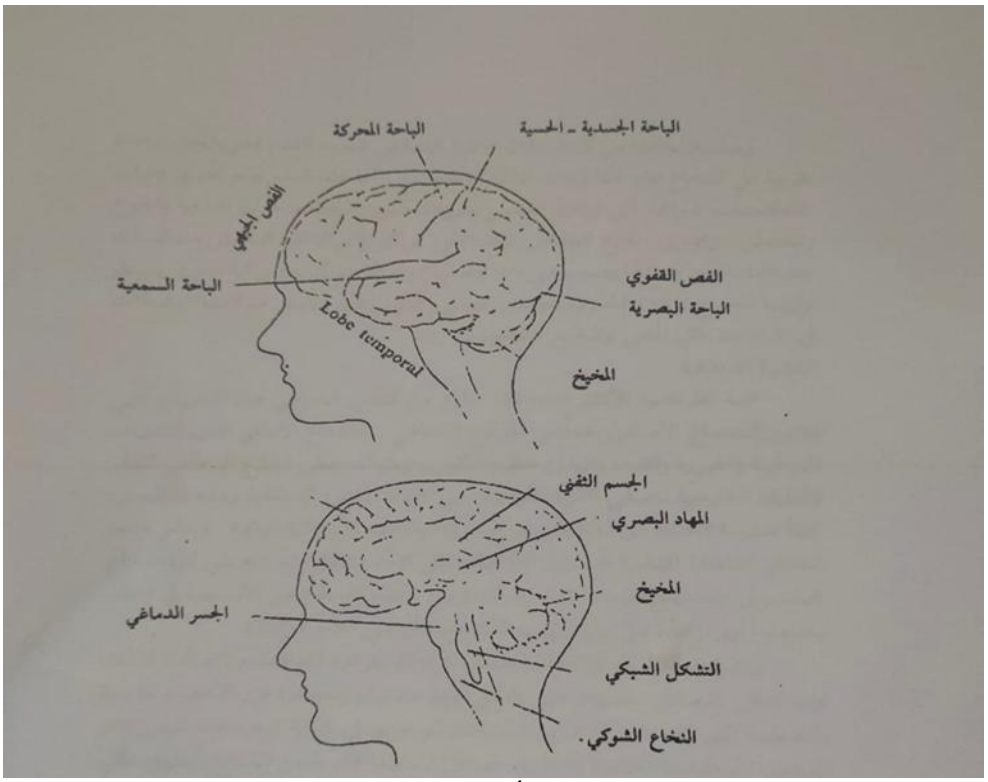

صورة رقم (1) تبين الأجزاء المختلفة للدماغ البشري.

 Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

ومن الناحية الوظيفية، يطرح العلماء فرضية "التزامن العصبي "لتفسير وحدة الوعي؛ إذ يُعتقد أن الوعي ينشأ عن ذبذبات متزامنة في قشرة المخ تصل سرعتها إلى حوالي (40 هيرتز أو 40 دفعة في الثانية). هذا التزامن الكهربائي هو الذي يفسر "مشكلة الربط(Binding Problem) "، أي كيفية دمج الصفات المختلفة لشيء واحد (اللون، الشكل، الملمس) في "كل متكامل" يختبره الوعي كأداة واحدة (وينتر ووينتر، 1996).
ورغم أن القشرة الدماغية هي موطن اللغة والذكاء، إلا أنها لا تعمل بمعزل عن الأجزاء البدائية؛ فهي ترتبط جذرياً بالجذع الدماغي و "الجهاز الشبكي المنشط (Reticular Activating System) "الذي يعمل كـ "مفتاح تشغيل" يحافظ على حالة اليقظة الضرورية لانبثاق أي محتوى واعٍ (فيرست، 1997).
إن مراجعة المسارات العلمية، سواء عبر بوابات ميكانيكا الكم بفرضياتها حول التَماسك الكمي، أو عبر البيولوجيا العصبية بتركيزها على الخرائط العصبية والمشابك الكيميائية، تكشف لنا عن حقيقة جوهرية: وهي أن العلم قد نجح في وصف "الارتباطات العصبية للوعي (Neural Correlates of Consciousness) "، لكنه لم ينجح تماماً في تفسير "ماهية" الوعي نفسه.
لذا، يظل التخلي عن الأطروحات الفلسفية والمثالية في هذه المرحلة قصوراً منهجياً؛ فنحن لا نزال في حاجة ماسة إلى نظرية شمولية (Holistic Theory)عابرة للتخصصات. نظرية لا تكتفي برصد حركة الجزيئات أو انهيار الدالة الموجية، بل تجمع بين هذه المسارات الفيزيائية والبيولوجية وبين التحليل الفلسفي للخبرة الذاتية، لتفسير ظاهرة الوعي بوصفها كلاً متكاملاً يجمع بين المادة والمعنى.

الخاتمة

يُمكننا أن نستخلص مما سبق أن الأطروحات العلمية التي تنتقد الفلسفة الديكارتية وتنفى الحالات الذهنية، تنطلق من فرضية مؤداها أنه إذا كان الدماغ نظاماً فيزيائياً خالصاً، فإن مسألة الوعي لا تُمثل إشكالية حقيقية؛ إذ يعتقد هذا الاتجاه أن مجرد فهمنا لآلية عمل الخلايا العصبية سيُلغي الحاجة إلى أي تفسير إضافي.
بيد أن هذا الرأي لم يوفق في تقديم إجابة شافية؛ فالوعي ظاهرة "داخلية وذاتية" تأتي دائماً في صيغة المتكلم، وأي تقرير علمي يتجاهل هذه الجوانب الجوهرية لا يُعد تقريراً عن الوعي، بل عن شيء آخر تماماً.
إن الطريق الصحيح لحل هذه المعضلة -في تقديري- يكمن في رفض البديلين (الثنائية والمادية) معاً؛ فكلاهما يرتكز على سلسلة من الافتراضات الخاطئة، أبرزها الاعتقاد بأن الوعي إذا كان ظاهرة كيفية وذاتية، فإنه بالضرورة لا يمكن أن يكون جزءاً من العالم المادي الفيزيائي. والحقيقة أننا لسنا مجبرين على الاختيار بينهما؛ فالنقطة الجوهرية الجديرة بالاعتبار هي أن الوعي ظاهرة "بيولوجية" كأي ظاهرة أخرى، وله ملامح خاصة أبرزها "الذاتية"، وهذا لا يمنع الوعي من أن يكون ملمحاً من مستويات المخ العليا، تماماً كما أن الهضم ملمح من مستويات المعدة العليا، أو السيولة ملمح ناتج عن نظام الجزيئات التي تؤلف المادة.

وخلاصة القول :إن سبيل إبطال النزعة المادية هو تبيان تجاهلها للوجود الحقيقي للوعي، أما سبيل إبطال الثنائية فهو رفض قبول نسق المقولات الذي يصور الوعي باعتباره شيئاً غير بيولوجي أو خارجاً عن العالم الطبيعي. فالثنائية لا تقدم تفسيراً لكيفية حدوث التجربة الذاتية أو آليات التفاعل التي تشير إليها، حيث تكتفي بالحديث عن عقل مستقل دون بيان كيفية تفاعله مع الدماغ أو العالم الخارجي.
أما النظريات التي اعتمدت على الفيزياء الحديثة، فقد اتخذت نهجاً آخراً؛ فمنها من شَبَّه السلوك اللامكاني للوقت في فيزياء الكم بتأثيرات الوعي، ومنها من رأى أن "الملاحظ الواعي" هو المسؤول عن انهيار الدالة الموجية. ورغم جاذبية نظرية الحوسبة الكمية في الأنيبيبات الدقيقة وقدرتها على تفسير وحدة الوعي والإرادة الحرة، إلا أن الصعوبة تظل قائمة في تفسير "الذاتية"؛ فالحوسبة الكمية لا تفسر بحد ذاتها كيف تولد التجارب الشخصية، مما دفع الكثيرين لاعتبار النظريات الكمية مجرد استبدال للغز بآخر. وكذلك الحال مع النظريات البيولوجية التي عجزت عن تفسير لماذا تنتج الشبكات العصبية تجارب ذاتية في المقام الأول.

 Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

تأسيساً على ما تم استعراضه من سجالات فلسفية وعلمية، يمكن بلورة النتائج والقضايا الأساسية التي خلص إليها هذا البحث في النقاط المركزية الآتية:

1. **الطبيعة الأنطولوجية للوعي :**يتألف الوعي من حالات وعمليات داخلية، وكيفية، وذاتية؛ ومن ثم فهو يمتلك "أنطولوجيا في صيغة المتكلم .(First-person ontology) "وهذا يعني أن وجود الوعي مرتبط بكونه مُختبَراً من قبل ذات مدركة.(Searle, 1997)
2. **استعصاء الاختزال المادي :**نظراً لتمتع الوعي بهذه الأنطولوجيا الذاتية، فلا يمكن رده أو اختزاله إلى ظواهر في صيغة الغائب (Third-person) بنفس الطريقة التي نختزل بها الظواهر الطبيعية الأخرى كالحرارة (إلى حركة جزيئات) أو الصلابة. فالاختزال هنا يسقط الخاصية الجوهرية للوعي وهي "الشعور الذاتي" (كرين، 2019).
3. **الوعي كظاهرة بيولوجية :**الوعي هو -قبل كل شيء- ظاهرة بيولوجية طبيعية، والعمليات الواعية هي في جوهرها عمليات حيوية تنتمي إلى العالم الطبيعي، وليست كياناً ميتافيزيقياً مفارقاً للمادة (سيرل، 2007).
4. **السببية العصبية :**إن العمليات الواعية تُسببها وتُحدثها عمليات عصبية معقدة وعالية المستوى في المخ. فالنشاط العصبي في المستويات الدنيا (الخلايا والعصبونات) هو الذي يولد الحالة الواعية في المستويات العليا (عوض، 2011).
5. **التحقق البنيوي :**الوعي ليس كياناً منفصلاً يسكن الدماغ، بل هو مجموعة من العمليات العليا التي "تتحقق (Realized) "فعلياً داخل البنية الفيزيائية للدماغ؛ مما يعني أن العلاقة بين الوعي والدماغ هي علاقة جزء بكل، أو ملمح بوظيفة، وليست علاقة جوهرين متمايزين.

Compliance with ethical standards

Disclosure of conflict of interest

The authors declare that they have no conflict of interest.

قائمة المراجع

أولاً: المراجع باللغة العربية

[1] بنهوز، ر.، وشيموني، أ.، وهوكنج، س. (2009). فيزياء العقل البشري والعالم من منظورين (ط. 1). (ترجمة عنان علي الشهاوي، مراجعة إيمان عبد الغني عبد الصمد). القاهرة: دار كلمة وكلمات عربية للنشر.

[2] بلاكمور، س. (2016). الوعي: مقدمة قصيرة جداً (ط. 1). (ترجمة مصطفى محمد فؤاد). القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والنشر.

[3] تريفل، ج. (2006). هل نحن بلا نظير؟ (ط. 1). (ترجمة ليلى الموسوي). الكويت: عالم المعرفة (العدد 332).

[4] تشالمرز، د. ج. (1997). لغز الخبرة الواعية. (ترجمة زياد القطب ومصطفى أحمد تركي). مجلة العلوم، المجلد 15. الكويت: مؤسسة الكويت للتقدم العلمي.

[5] جعفر، ع. (1990). أضواء على الفلسفة الديكارتية (الملحق). الإسكندرية: الفتح للطباعة والنشر.

[6] درويش، ب. (2009). التفسير الطبيعي المعاصر للوعي: بحث في فلسفة العقل. الإسكندرية: منشأة المعارف.

[7] زيدان، م. ف. (1977). في النفس والجسد: بحث في الفلسفة المعاصرة. الإسكندرية: دار الجامعات المصرية.

[8] سيرل، ج. ر. (2007). العقل. (ترجمة مشيل حنا ميتاس). الكويت: عالم المعرفة (العدد 343).

[9] سيرل، ج. ر. (2011). العقل واللغة والمجتمع: الفلسفة في العالم الواقعي (ط. 1). (ترجمة صلاح إسماعيل). القاهرة: المركز القومي للترجمة (العدد 1812).

 Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

[10] عاطف، ك. (2021). مشكلة الوعي عند دانيال دينيت [رسالة ماجستير غير منشورة]. كلية الآداب، جامعة المنصورة.
[11] عوض، ع. (2011). المنظور البيوعصبي للوعي. الإسكندرية: دار الجامعة الجديدة.
[12] فيرست، ت. (1997). الدماغ والفكر (ط. 1). (ترجمة محمود سيد رصاص). دمشق: دار المعارف.
[13] فيشباخ، ج. (1994). العقل والدماغ. مجلة العلوم، المجلد 10 (العدد 5). الكويت: مؤسسة الكويت للتقدم العلمي.
[14] فيشر، ر. (1989). انبثاق العقل من المخ. (ترجمة أحمد رضا). مجلة ديوجين، (العددان 82-83). القاهرة: المجلس الدولي للفلسفة والعلوم الإنسانية.
[15] كرم، ي. (1936). تاريخ الفلسفة اليونانية. القاهرة: دار المعارف.
[16] كرين، ت. (2019). الذهن الآلة: مقدمة فلسفية للأذهان والآلات والتمثيل الذهني (ط. 1). (ترجمة يمنى طريف الخولي). القاهرة: المركز القومي للترجمة.
[17] وينتر، أ.، ووينتر، ر. (1996). بناء القدرات الدماغية (ط. 1). (ترجمة كمال ومروان قطماوي). حماة: دار الحوار للنشر والتوزيع.

انياً: المراجع باللغة الأجنبية

[18] Armstrong, D. (1981). The Nature of Mind. Ithaca, NY: Cornell University Press.
[19] Chalmers, D. J. (1995). Facing up to the problem of consciousness. Journal of Consciousness Studies, 2(3), 200–219.
[20] Churchland, P. S. (1983). Consciousness: The transmutation of a concept. Pacific Philosophical Quarterly, 64, 80–95.
[21] Dennett, D. C. (1990). Quining qualia. In W. Lycan (Ed.), Mind and Cognition. Oxford: Blackwell.
[22] Dennett, D. C. (2005). Sweet Dreams: Philosophical Obstacles to a Science of Consciousness. Cambridge, MA: MIT Press.
[23] Dyson, F. (1985). Infinite in All Directions. New York, NY: Harper & Row.
[24] Foster, J. (1989). A defense of dualism. In J. Smythies & J. Beloff (Eds.), The Case for Dualism. Charlottesville, VA: University of Virginia Press.
[25] Foster, J. (1996). The Immaterial Self: A Defence of the Cartesian Dualist Conception of Mind. London: Routledge.
[26] Rosenthal, D. M. (1986). Two concepts of consciousness. Philosophical Studies, 46(3), 329–359.
[27] Searle, J. R. (1997). The Mystery of Consciousness. New York, NY: New York Review Books.
[28] Velmans, M. (1996). What and where are conscious experiences? In M. Velmans (Ed.), The Science of Consciousness. London: Routledge.

ثالثاً: المواقع الإلكترونية وموسوعات الإنترنت

[29] موسوعة ستانفورد للفلسفة. (2011). مقاربات الكم للوعي. تم الاسترجاع في 25 ديسمبر 2025، من Stanford Encyclopedia of Philosophy. :
[30] الطلافيح، ض. (2023). مفهوم الوعي في الفلسفة. موقع علم الفلسفة. تم الاسترجاع في 25 ديسمبر 2025، من https://alfalsafah.com/g :

 Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

[31] سعيد، ع. (2021). حول مفهوم الوعي. المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية. تم الاسترجاع من https://ecss.com.eg/16837 :

[32] Gutenberg Project. (2025). The Analysis of Mind. Retrieved from: https://alfalsafah.com/g/-

[33] Sherry, K. (2018). How many neurons are in the brain? Verywell Mind. Retrieved from: www.verywellmind.com

Disclaimer/Publisher's Note: The statements, opinions, and data contained in all publications are solely those of the individual author(s) and contributor(s) and not of **CJHES** and/or the editor(s). **CJHES** and/or the editor(s) disclaim responsibility for any injury to people or property resulting from any ideas, methods, instructions, or products referred to in the content.

 Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).